

المقطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثامن والعشرين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣ - الموافق ١١ شعبان سنة ١٣٢١

رباعيات أبي العلاء

THE QUATRAINS OF ABU'L ALA.

إذا ظهر عند الانفرج كتاب وقع عندهم وقفاً عظيماً لقبه مقررته بكتاب الشهر تنويهاً
بذكرو. والكتاب الذي امامنا الآن يحق ان يثبت هذا الثبت فقد وقع احسن ووقع عند
ابناء اللغة الانكليزية. ولا غرابة في ذلك لان الفضل يعرفه ذوهه والمرعي في الطبقة العليا بين
حكاه الشعراء الذين غاصت عقولهم في بحار المعاني فالتقطت منها الدرر الذوالي وتجلت لهم
اسرار الحكمة فانارت بصائرهم وفاض شعاعها الروحاني من نفوسهم. ولأن ادياء الانفرج من
اوربيين واميركيين يقدرون الفضلاء قدرهم ولو كانوا غرباء عنهم وتعتق نفوسهم حكم
الحكام حتى تكاد تصبدها بل قد قام منهم من انزل عمم الخيام الشاعر الفارسي منزلة
الانبياء المعلمين وانشأ طريقة يتلو اصحابها اشعاره كما تلون الآيات المنزلة

ولم يكن عمم الخيام الا تابعاً لابي العلاء المرعي مقبلاً منه او تاسماً على منواله ومع ذلك
لم يقدم احد على ترجمة اشعار المرعي الى اللغات الاوربية الا الآت حينما هزت الارجية
وظنينا الاديب امين انندي ريحاني اللبناني مولداً اميركي داراً فقد برع في اللغة الانكليزية
وجلى فيها نيراً ونظماً فوق براعته في لغته العربية فنقل الى الانكليزية مختارات من شعر ابي
العلاء نظمها نظماً رائعاً بعد ان ألف بينها واوجز واظن وتصرف في التعبير عن المعاني كما سيجي
وقدم لها مقدمة بلغة قال فيها ما ترجمته

”لما كانت اوربياً كلها تعد الاسلحة وتعبي الميرة لحرب الصليب الاول وامالي الشمال
بدوخون الاقاليم الغربية واخلفاء يفتنون في الخارجين عليهم كان ابو العلاء يثير حرب الاقلام على

ما في عصره من الشرور والباطيل فحمل على الخرافات والاحاديث الموضوعة ونادى بوجوب
الخضوع لسلطان العقل ووطن كبد الظلم والاستبداد طعنات صادقات ونادى بحرية الضمير
وسمو النفس فوق مطامع الحكام . وقال بوجوب المساواة وبين معائب الرؤساء ديناً وديناً
”نشأ هذا الرجل في اواخر القرن العاشر واوائل الحادي عشر وقد جهل الاوربيون امره
كلى هذا الزمن ولم يذكره كتاب العربية الا نادراً“

”ابو العلاء المعري لقرنيطوس الاسلام وديوجنس العرب وقولتر المشرق“^(١) ولد في ربيع سنة
٩٧٤ ليلاد وسقط رأسه قرية صغيرة على مقربة من حلب“

واقاض على هذا الاسلوب في ترجمة ابي العلاء وقال انه كان اكبر فلاسفة عصره وفضلاً
على ابن سينا ووصفه بحرية الضمير والانتصار للحق والبعد عن الرياء . وان الاشعار التي ترجمها
الى الانكليزية انتقاها من دواوينه الثلاثة سقط الزند وضوء السقط واللزويات واخطر ان
يتصرف فيها تصرفاً لا يخرجها عن مراد ابي العلاء . ثم اشار الى ما بينها وبين رباعيات عمر
الخييام من المشابهة . ومن رأيه ان عمر الخيام كان تلميذاً لابي العلاء او نقل عنه او اقتدى به .
واستدرك على ذلك قائلاً انه لا يقصد من تبيان هذا الامر ان يزعم ثقة مردي عمر الخيام
به ولا هو من اهل الفروع حتى يطمع بذلك بعد ان رمخ الاعتقاد بعمر الخيام في نفوس مرديه
وانما هو يقصد ان بقوي تأثير الشرق في عقول اهل الغرب لا ان ينقصه وان يزيد قدره
لا ان ينقصه الى ان قال

”على ان الذي يقابل شعر عمر الخيام بما ترجمته هنا يرى ان شكوكه وظنونه مقتبسة من
ابي العلاء . فأبو العلاء فيلسوف شعراء العرب جاهر بأرائه الدينية نجارة قصر دونها الشاعر
الفارسي . ولست اقول ان عمر الخيام نقل معاني ابي العلاء بل اقول انه استعارها منه كما

(١) [المنتظف] لقرنيطوس شاعر روماني نشأ في القرن الاول من التاريخ المسيحي ضمن اشعاره
فلسفة ديموقريطس وايغورس في اصل انعام وطن في الادبان ونفى المخطوذة وقال ان الموجودات كلها مولدة
من جواهر دقيقة مبنية في التكون والعفن والنفس والحياة لا تقوم بغير الجسد بل هي اجزاء منه كاليدن والرجلين
وتنقل بالخلال وان الامراض ناتجة عن ذرات صغيرة منتشرة في الهواء وان ابلح الخيول منتق بعضها من
بعض بالشو

وديوجس هو الفيلسوف الكلي . شهير بارته ولد في بطس سنة ٤١٣ قبل احيق ونشأ في اثينا وتوفي في
كورنثس وهو الذي قابله الاسكندر المكوثي وقال له ماذا تريد ان افعل لك فقال له « حد من تسي »
فقال الاسكندر لو لم يكن الاسكندر لوددت ان اكون ديوجس

وقولتر هو الفيلسوف الفرنسي المشهور

استعار فولتير معظم آرائه الحرة وشكوكه في الدين من هوبس ولوك وبابيل
وقد ترجم ونظم مئة وستة وعشرين من هذه الرباعيات وطبع الترجمة الانكليزية والحق بها
بعض الحواشي ولم ينشر معها الاصل العربي ليسهل على القارئ والمتتبع المقابلة بينها. ويظهر
مقدار ما تصرف فيه اوراق الاصل او زاد عليه من الامثلة التالية وقد نشرناها حسب ورودها
في ترجمته وقدّمنا عليها عدد الصفحة التي نشرت فيها

صاح هذه قبورنا تملأ الرحوب فابن القبور من عهد عاد

12 Behold, O, friend, our tombs engulf the land,
Our fathers' courses moulder in the sand;

From Aad's time where and how many are the graves?
Has not this sea of Death a Cliff, a strand?

فتوسع في الترجمة بما لا يخرج عن مراد المعري وما ذكره في اماكن اخرى من ديوانه
وزاد عليه معنى قلما يحظر على بال اهل البادية وهو ان بجر الموت لا ساحل له ولا صخر
يوقف عليه

خفف الوطاء ما اظن اديم الا رض الأ من هذه الاجاد

14 Tread lightly, for a thousand hearts unseen
Might now be heating in this misty green;

Here are the herbs that once were pretty cheeks,
Here the remains of those that once have been.

وهنا زاد توسع المترجم ولم يكتب يجعل اديم الارض من اجساد الناس بل قال ان قلوبهم
لا تزال تخفق تحت ثراها وان بقولها تكونت من وجنات الحسان
ربّ لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحم الاضداد

15 Many a Grave embraces friend and foe,
And grins in scorn at this most sorry show ;
A multitude of courses therein pressed—
Alas! Time almost reaps e'er he doth sow!

وزاد المترجم هنا معنى بديعاً وهو ان الدهر يكاد يحصد قبلما يزرع لسرعة ما يختطف النفوس
تعب كلها الحياة فما اعجب الأ من راغب في ازدياد

- 16 The warp and woof of Life are woe and gloom ;
The Cup is bitter ; endless pain the doom :
Strange then that he should weave, that he should drink,
Who knows well how to smash both Cup and Loom !

عبر المترجم عن معنى المعري تعبيراً فائقاً في بلاغته فقال ان سدى الحياة ولحمها وبل
وغم كأسها مرة وقضاؤها ألم متيم فاعجب لمن ينسج على نوطا ويشرب من كأسها وهو يعلم
كيف يحطم انكاس والنول معاً

انما يتقنون من دار اعما ل الى دار شقوة او نساد
ضخمة الموت رقدة يتريح - الجسم فيها والعيش مثل السهاد

- 18 We're only moved from this all battered Tent
To some abode of peace, by accident ;
A night of deep sleep and repose is Death,
While in Life's day this Sleep by Care is rent.

والترجمة هنا كما تفرق عن الاصل الآ في الشطر الاخير
كل بيت للهدم ما بنت الور قاه والبد الرفيع العمار

- 19 Every abode to Ruin is adrest,
Be it a palace or a sparrow's nest ;
Let not the mighty build, for they must go,
Like that fair dove, with what they built, to rest.

وقد نوسع في الترجمة فزاد المراد جلاء ولكنه لم يزد معني
ضحكتنا وكان الضحك مناسفاه وحق لكان المقابران يكرها
تطمنا الابام حتى كانتنا زجاج ولكن لا يبادل سبك

- 35 I laugh and lo! my shafts of scorn doth leap
On Adam's sons, who all by right should weep ;
Doubt crushes us like glass, and even the hope
Of restoration lost is in the heap.

والترجمة مطابقة للاصل مطابقة حسنة
انيقوا انيقوا يا غواة فانما ديانتكم مكر من القمام

ارادوا بها جمع الخطام فادركوا وبادوا وماتت سنة الزمام

- 50 Awake, awake, thou pious dupes, awake !
And see how all the creeds and cults do shake :
These are the jades the wily ancients rode
Upon the track of Life, to win their stake.

والترجمة مطابقة الاصل على قدر ما يستطاع

يرتجى الناس ان يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

- 52 Their vices 'neath the veil of Faith they hide,
And thus parade them, with unbridled pride ;
Our reason we abuse, when we believe
Their Lies, and Reason is the only guide.

السطران الاولان يتقابلهما آيات اخرى للمعري والسطران الاخيران مطابقان للبيت
الاخير من الاصل ومن المحتمل ان الترجمة لايات اخرى لم نخضرنها عند كتابة هذا السطور
يقولون ان الدهر قد حان موته ولم يبق في الايام غير ذمائه
وقد كذبوا ما يعرفون انتقضاءه فلا تسمعوا من كاذب الزعماء

- 55 Howbeit these sages say, "The end is here,"
That death will take the worlds, afar and near ;
They lie about the universe, and—well,
Heed not their threats, and yield thou not to fear.

والترجمة تكاد تكون حرفية

اذا قلت للحال رفعت صوتي وان قلت الصحيح اطأت همي

- 60 Aye, Wrong forever is proclaimed aloud,
And strongly yoked upon a boundless crowd :
But Truth is only whispered to the few,
Who bury it alive without a shroud.

وفي الترجمة توسع في المعنى وزيادة في الايضاح ولعلها مأخوذة من آيات اخرى
ونار ان تفتحت بها اضاءت ولكن انت تنفخ في رماد

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تناديه

110 Fan thou the fire and then behold the light !
Fan thou but ashes and bemoan thy sight :
Call thou the living and they will respond,
But whom thou callest are as dead as Night.

والترجمة تكاد تكون حرفية أيضاً ولا نظن البيتين للمري
هذا وقد اجاد الناظم غاية الاجادة في النظم وسبك المعاني في قوالب انكليزية فصيحة
كاحسن الشعر عذوبة وبلاغة . والكتاب كله يشهد له بالسبق في حلية الانكليزية وجودة
النظم فيها وهو غريب عنها . وبدل على ان الشرقي ليس دون الغربي في ذكائه وقوة عقله
وخياله واستعداده الفطري اذا تسرت له الوسائط لظهور مزاياه
وقد طبع دبلداي وباج وشركاؤهم (١) هذا الكتاب طبعاً متقناً جداً ولا يبعد ان يقبل
قراه الانكليزية عليه اقبالهم على اشعار عمر الخيام او اكثر لان معاني المري اوضح بياناً واعلق
بالنفوس وعبارته انزه واعف . وحيداً لواعاد المترجم الكرة على دواوين المري فانه يجد فيها
دوراً اخرى تعد بالمئات يحسن نظمها مع ما اختاره منها الآن

غرائب الشعوذة

وعدنا في الجزء الماضي ان تكلم على ارتفاع الانسان في الهواء وخروجه من الصندوق
المقفل وانجازاً لذلك نقول

ان رفع الانسان بغير قوة ظاهرة وتركده في الهواء غير معلق بشيء وغير مسند الى شيء
كما تخار فيه العقول لانه ساقض لاختبار الناس . وقد رأينا احد المشعوذين يفعل ذلك سيفه
هذه العاصمة وشاهدنا الدهشة البادية على وجوه الذين رأوه وكانوا يبدون بالمشات ونحن نعجب
بهارته ونكشف للجولس مناصره صناعته وهم لا يكادون يصدقون

الى بكرسيين من الكرامبي العادية ووقوفهما الواحد تجاه الآخر والبعد بينهما نحو متر
ووضع عليهما لوحاً عريضاً متبناً ودنت منه فتاة حسنة فانفضها يديها والقها على اللوح فاستلقت
عليه وجعل يثير يديه فوقها كما يفعل الشومون فاعلمت عينيها وتناوت وحسب الحضور

(1) Doubleday, Page & Company 34 Union Square New York